

تطور عمارة القبور السردابية بمدينة تيبازة القديمة
ابتداءً من الفترة البونية إلى غاية الفترة الرومانية.
**Développement des caveaux de Tipasa
de la période punique jusqu'à la période romaine**

ط.د. / رابحي أسماء

مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)، معهد الآثار - جامعة الجزائر 2

البريد الإلكتروني: asma.rabehi@univ-alger2.dz

د. / طواهري حكيمة

مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)، معهد الآثار - جامعة الجزائر 2

البريد الإلكتروني: hakima.touahri@univ-alger2.dz

الملخص:

يعتبر بناء القبور وتجهيزتها من الممارسات المهمة التي تعبر عن تطور المعتقدات داخل المجتمع وعامل التأثير والتأثر بالمجتمعات التي تجانست فيما بينها سواء من خلال العلاقات التجارية أو عن طريق الهجرات الخارجية. تطورت المدافن بمدينة تيبازة وطرأت عليها عدة عناصر غير محلية، فمن أنواع المدافن المنتشرة بها هي القبور السردابية وهي مقابر ذات تهيئة معمارية بعدما كانت في البداية عبارة عن قبور محفورة يتم الوصول إليها عن طريق آبار مزودة بأدراج تغلق من الأعلى ببلاطة حجرية ثم أصبحت في تطور مستمر حتى تم التخلي عن طريقة الدفن بالعمق والاقتراب من السطح أكثر. تهدف دراسة هذا النوع من القبور إلى التطرق لعدة جوانب في حياة الفرد التيبازي، إذ أنّ دراسة الجانب المعماري يفسر لنا مدى انشغال المجتمع بهذا النوع من المعالم الجنائزية والتفكير في تطويرها باستمرار إذ تمثل جانب مقدس ومهم في حياته وحتى بعد موته، فالقبر يمثل بيت الميت والمكان الذي تعاد به الحياة، حيث يظهر هذا المعتقد من خلال الأثاث الجنائزي الذي يوضع بالقبر لمرافقة الميت، ظنا أنها تلزمه في تلك الحياة. من هنا سوف نسلط الضوء على أهم التحولات التي شهدتها عمارة القبور السردابية من الفترة البونية إلى الفترة الرومانية من خلال نماذج من مقابر مدينة تيبازة ونتطرق لدراسة تطور أشكال هذه المدافن، مواد البناء والملحقات التي تم إضافتها والتي تم التخلي عنها، إضافة لطرق الدفن ومحاور توجيهها.

الكلمات المفتاحية: القبور؛ السرداب؛ الدفن؛ المدافن.

Résumé :

La construction et la préparation des tombes est parmi les pratiques importantes qui expriment le développement des croyances au sein des communautés anciennes car elle représente un facteur d'influence sur les sociétés qui se sont harmonisées les unes avec les autres, que ce soit par des relations commerciales ou par les migrations externes.

Les techniques de constructions des tombes dans la ville de Tipasa ont développé et plusieurs éléments non locaux s'y sont introduits, parmi les sépultures très répandues à Tipasa sont les caveaux qui la chambre est devenue construite en surface après avoir été creusé en profondeur mené d'un puits à escalier et fermé par une dalle.

L'étude de ce type de sépultures vise à aborder plusieurs aspects de la vie de l'individu tipasien, car l'étude de l'aspect architectural de ces monuments funéraires nous montre à quel point la société se préoccupe de ce type de constructions et veille à les développer, car elles représentent un aspect sacré et important pour les individus avant et après la mort, le mobilier funéraire est de son côté important pour accompagner les morts dans leurs voyages après la mort. De là nous allons montrer quelles transitions représentaient ces tombes de la période punique vers la période romaine à travers des modèles provenant des nécropoles de la ville de Tipasa. Nous aborderons ainsi l'évolution des formes, les matériaux de construction et les parties ajoutées et supprimées, en signalant les méthodes d'inhumations et les axes du dépôt dans la tombe.

Mots clés: Sépultures; caveau; sacré; inhumation; incinération; punique.

مقدمة:

بيّنت الدراسات والتقارير اعتناء إنسان المغرب القديم بدفن موتاه منذ فترات ما قبل التاريخ، حيث أنّ أقدم المعتقدات الجنائزية المعثور عليها بالجزائر ترجع إلى فترة العصر الحجري القديم Epipaléolithique في موقع أفالو بورمل ببجاية¹ وتافورالت وافري نبارود بالمغرب الأقصى² والإنسان الأيبيري مغربي هو الآخر دفن موتاه داخل مغارات بحواف جدرانها الداخلية، ثم أصبحت تتضح هندسة المعالم الجنائزية ومعالها إذ عثر على هياكل عظمية مغطاة بالحجارة بجزيرة رشقون³. استمر الدفن داخل المغارات حتى العصر الحجري القديم والحديث، ثم أصبحت التهيئات تمس المغارات على شكل حوانيت كالتّي عثر عليها بسيلا⁴.

وبمجيء فجر التاريخ تنوعت وتعدّدت أشكال وهندسة العمارة الجنائزية بالمغرب القديم، دليل على تطور الفكر الإنساني في تعامله مع الموت والموتى بحيث استمر بتطوير مدافنه في فترات لاحقة إلى أضرحة.

سوف نتطرق في دراستنا هذه إلى دراسة نوع من المدافن وتطور عمارتها وهندستها بمدينة تيبازة خلال الفترات القديمة، إذ ظهرت ابتداء من القرن الـ 3 ق.م واستمرت إلى غاية الفترة الرومانية.

إنّ تطوّر عمارة القبور بمدينة تيبازة والتغيرات التي طرأت على هندستها مرتبط بطقوس وعادة الدفن بحيث أنّ سكان المغرب القديم مارسوا عادة الدفن العادي في الفترة البونية بين الفترة الممتدة من القرن 8 ق.م إلى القرن 2 ق.م فكانت مدافنهم بمقاسات كبيرة لتسع للموتى في حالات الدفن بالسراديب وظهرت

¹- HACHI, S., 1995, pp. 99-118.

²- BEN-NCER, A., B.M.S.P.T., pp. 177-185.

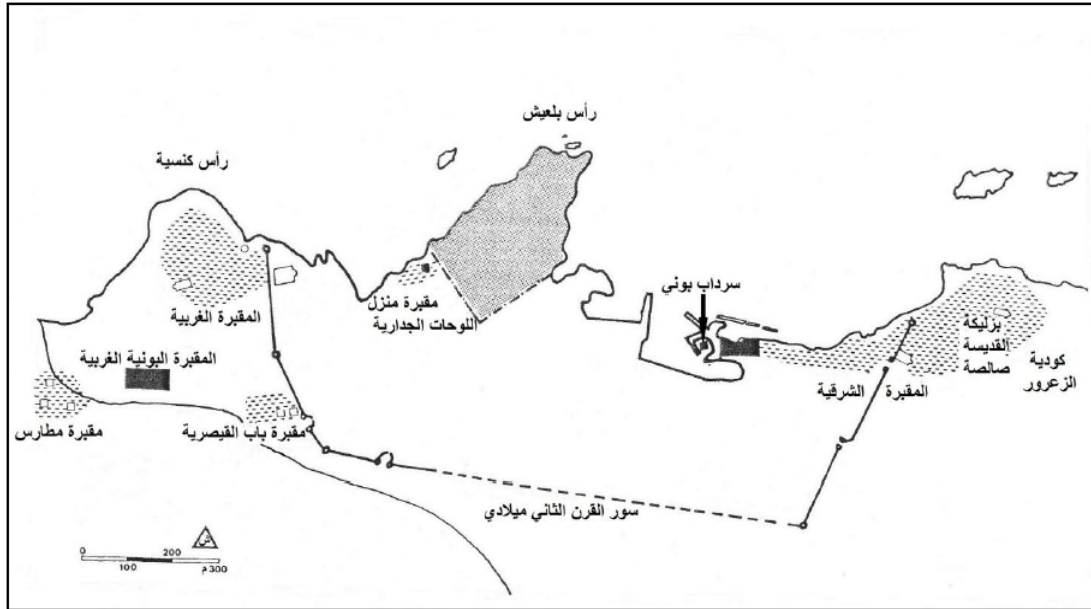
³- GSELL, S., 1921, pp. 271-272.

⁴- Ibid.

عادة الترميد نهاية القرن 4ق.م هو حرق جثث الموتى ووضع الرماد والعظام في حاويات ومرايمد بحيث طرأت تغييرات في شكل وأقسام المدافن مع الحفاظ على نفس الشكل العام.

إنّ تبني العالم البوني مختلف العادات الجنائزية وعمارة المدافن مرتبط ارتباطا وطيدا بالتأثيرات بجزيرة صقلية الإغريقية⁵، لاحقا خلال الفترة البونية المتأخرة التي تزامنت مع بدايات الاستيطان الروماني أشارت المعطيات الأثرية التي خضت تنقيبات القبور تراجع عادة الدفن العادي بدءا من منتصف القرن 2ق.م وأصبحت هي الأكثر انتشارا الى غاية القرن 1م بعد قرن من الزمن ابتداء من القرن 2م الى غاية القرن 3م تدريجيا عادت عادة الدفن العادي وهذا ما تظهره معطيات مقابر تيبازة من خلال نتائج الحفريات التي قام بها الباحث غزال من خلال دراسة معالم الجزائر القديمة⁶، وحفرياته بالمقبرة الوثنية الشرقية، بوشناق⁷ حول مقبرة ماطاراس الغربية، لانسال بمقبرة باب قيصرية، باراداز بالمقبرة الوثنية الشرقية⁸ 1955م ولاحقا سانتاس عام 1949م بالمقابر البونية الشرقية⁹، وأبحاث الباحث غافو¹⁰ وغزال¹¹ فيما يخص حوانيت تيبازة وهي القبور التي تسبق القبور السردابية.

كلّ هذه الأبحاث التي قام بها الباحثون في مختلف مقابر تيبازة (**الخريطة 01**) وحتى غيرها بالمغرب القديم ساهمت في امدادنا بمعلومات حول تطور عمارة القبور السردابية عبر الفترات التاريخية. تيبازة تعتبر موقعا متميزا لدراسة تطور العمارة والانتقال من تقنية لأخرى وملاحظة التأثيرات والتغييرات التي طرأت على المدافن.



الخريطة 01: يمثل توزيع المقابر بمدينة تيبازة؛ عن: LANCEL, S., 1982, fig. 10, p. 758.

⁵- GSELL, S., 1920, p. 448.

⁶- GSELL, S., II, 1901, p. 39.

⁷- BOUCHENAKI, M., 1975.

⁸- BARADEZ, J., 1957.

⁹- CINTAS, P., 1949.

¹⁰- GAVAUULT, M., 1883.

¹¹- GSELL, S., 14, 1894.

2- المدافن بمدينة تيبازة خلال الفترات القديمة:

تنوعت وتعددت مدافن البربر على مر العصور بحيث طرأت عليها عدة تأثيرات، منها ما هو أصيل المنشأ ومنها ما خضع لتأثيرات خارجية، وهذا راجع لانفتاح المجتمعات البربرية على حضارات معاصرة لها التي كانت في أوج ازدهارها كالإغريق، المصريين والفينيقيين.

تعددت أشكال وهندسة هذه المدافن ذات الشكل المخروطي، الأسطواني، المربع والهرمي والمتمثلة في التيميلوس، والبازينات، والحوانيت، والدولمن والمصاطب إذ طرأت على هذه المباني الجنائزية عدة تطورات وتغيرات مست أشكالها حسب الفترات الزمنية وحسب عادات الدفن التي شهدت تحولات.

بمجيء الفينيقيين وخلال الفترة البونية طرأت عدة تغييرات على الشكل الهندسي والمخطط الداخلي على بعض المدافن والتي نجدها بمدينة تيبازة بحيث برزت المدافن السردابية والتي عرفت تطورا من خلال التأثيرات الخارجية مع تمسك المحليين بالنموذج المحلي، فمن المدافن القديمة التي تعود للفترة الليبية نجدها في مدينة تيبازة الحوانيت Hypogées والتي تعتبر من المدافن التي استمدت منها المدافن السردابية شكلها الداخلي.

تطورت هندستها وطرأت عليها مجموعة من التغييرات، فالمدافن السردابية هي من أصول شرقية فينيقية

وتطورت وتبنت النموذج المحلي فهي عبارة عن قبور مبنية سردابية يوصل إليها عن طريق جب زود بأدراج تصلها نحو الغرفة الجنائزية، تم أخذت في التطور وسرعان ما ألغي المدخل الجبي وأصبحت الغرفة أكثر ظهورا على السطح.

2-1- الحوانيت Les hypogées:

الحوانيت جمع حانوت وهي عبارة عن غرفة مقببة محفورة بالصخور وواجهات الجبال، إذ تعتبر مغارات اصطناعية مصغرة ذو شكل منتظم مكعب وتفتتح على الخارج بمقاسات صغيرة على الخليج، تتميز بمداخلها الضيقة التي تغلق بواسطة الألواح حجرية مركبة عموديا التي صقلت حوافها بدقة لسماح تركيب البلاطات بشكل منسجم مع المدخل تنزلق من خلالها البلاطات الحجرية أو الصحيفة الخشبية تقنية الغلق من الخارج سهلت عملية فتح الحوانيت مما أدى إلى ضياع البلاطات الحجرية¹².

خلال حملة استكشافية قام بها الباحث قافو بمدينة تيبازة، شملت مجموعة من الحوانيت التي تقع بالمقبرة الغربية على بعد 30م من برج مراقبة سور المدينة، بجوار الضريح الدائري وتعود كلها لنفس الفترة¹³. معظمها نصف كاملة واثنين منها انهارت بالبحر، إذ هي عبارة عن غرف جنائزية جد صغيرة يتم الولوج إليها عبر بوابة صغيرة غير مزخرفة تأخذ شكل نافذة لصغر حجمها يتم الدخول إليها عبر التسلق.

¹²- CAMPS, A., 2000, pp. 01-29.

¹³- GAVAUT, M., 1883, p. 321.

نموذج الدراسة هو حانوت من بقية العشرات التي تم اكتشافها وذلك راجع لأهميته ولاحتمائه على معطيات مهمة تعطي معلومات أكثر عن نوعية هذه المدافن ومن خلاله يمكننا رؤية التحول والتطور الذي مس المدافن عبر الفترات التاريخية في تيبازة القديمة، وما أبرز التأثيرات الخارجية فيما يخص العمارة الجنائزية (الصورة 01، 02، 03، 04) (المخطط 01).



الصورة 02: تظهر مداخل الحوانيت. عن: الطالبة.



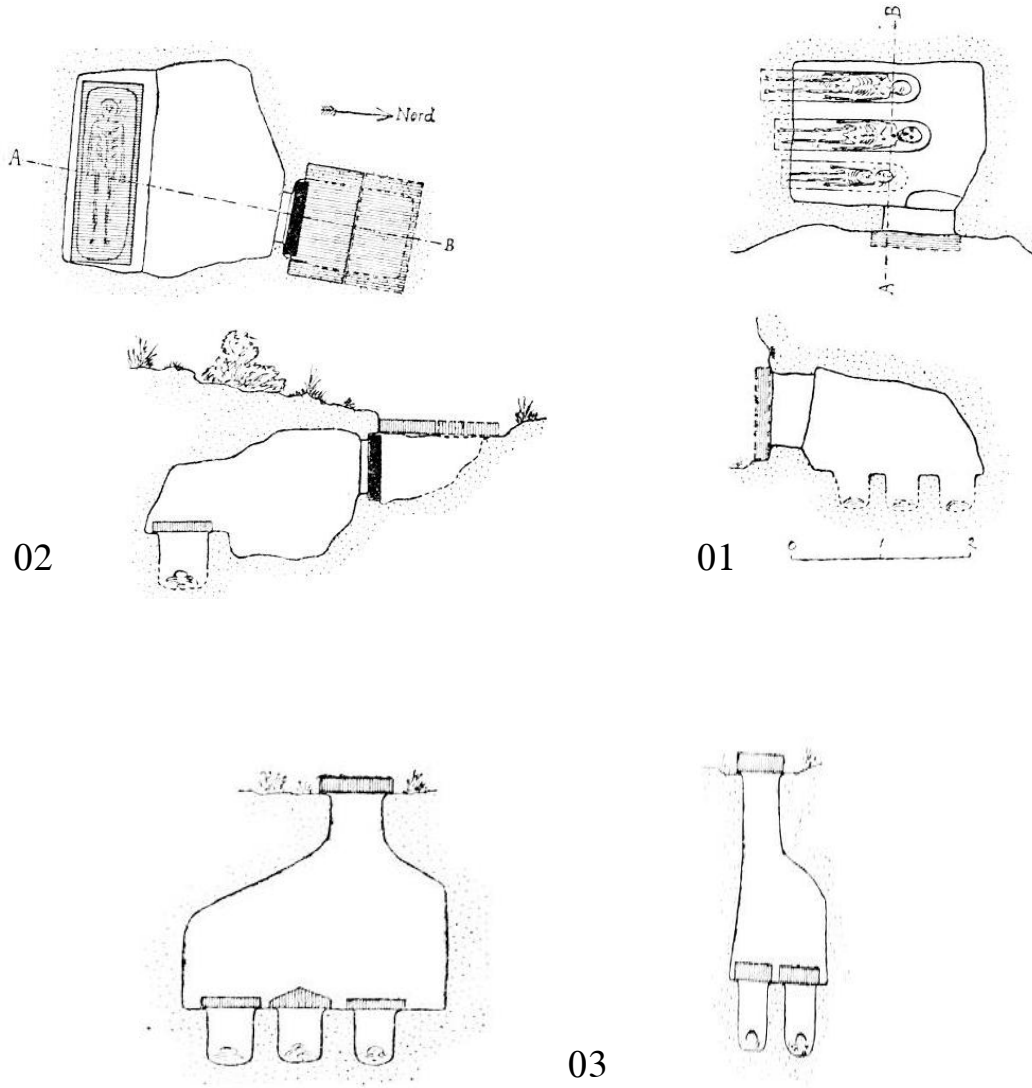
الصورة 01: تمثل الواجهة الشمالية للحوانيت. عن: الطالبة.



الصورة 04: توابيت حفرت على الصخر بالحوانيت. عن: الطالبة.



الصورة 03: غرفة جنازية لإحدى الحوانيت. عن: الطالبة.



المخطط 01: يمثل مخطط ومقاطع حوانيت الدراسة 01، و02، و03. عن: GAVALT, M., 1883.

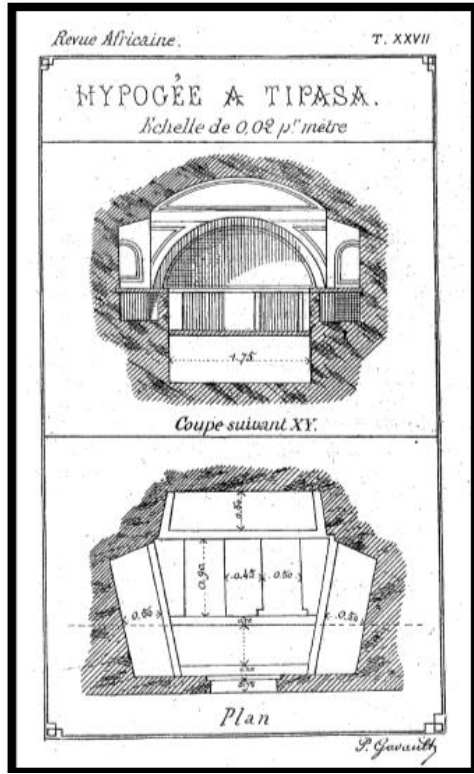
أ- وصف مدفن من نوع (حانوت) (المخطط 02) (الصورة 05):

تتضمن مقبرة تيبازة الغربية على عدد كبير من المدافن المحفورة في الصخور حيث استطاع الباحث غزال دراسة البعض منها بحيث قسمها لفئتين:

المدافن التي تحتوي على مدخل أفقي يصل إلى (2م×0,60م) يتصل بالأرضية محاط بجدار مبني لدعامة المدخل ويغلق ببلاطة حجرية، يحتوي على عدة موتى داخل توابيت متوضعة على الأرض وأخرى حفرت على الأرضية وبشكل نصف دائري موضع الأرض حيث لم تحتوي على غطاء¹⁴ ومدافن ذات مدخل عمودي ذو شكل مستطيل صغير الحجم وتكون أكثر عمقا.

¹⁴- GSELL, S., 1894, pp. 391-393.

مدخل المدفن يأتي على شكل نافذة بحيث تحتوي الأرضية على فسيفساء مربعة (1.30م×0.60م)،



المخطط 02: إحدى حوانيت تيبازة، عن:
GAVAULT, M., 1883, Pl. XXVII.



الصورة 05: حانوت تيبازة مقابل البحر. عن: الطالبة.

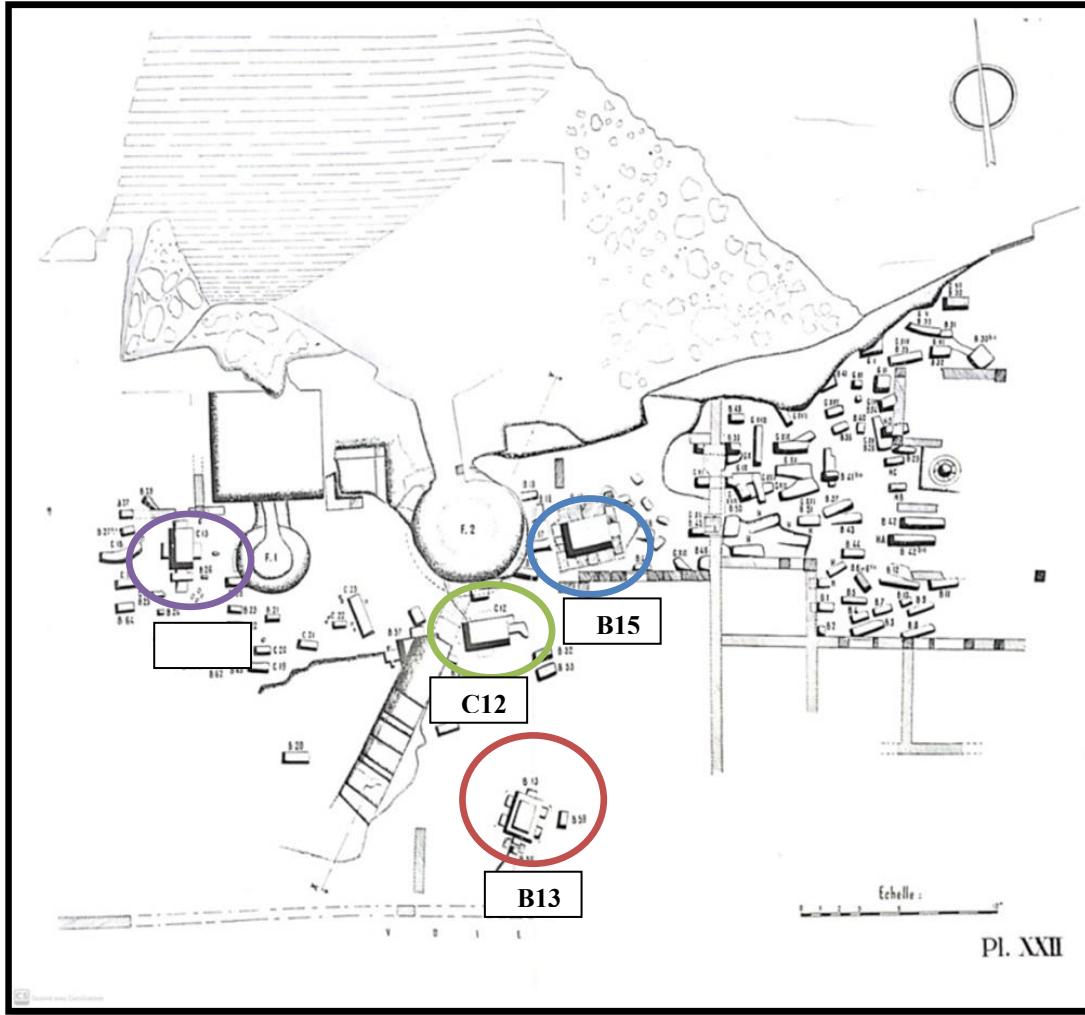
يأتي على معبر الرأس البحري، يصل عرضه الداخلي إلى 3م وعمقه 2,8م يحتوي على ثلاث كوات Arcosolium تحتوي كل منها على تابوت، تتوضع 3 توابيت أخرى على أرضية الغرفة ما يؤكد أن التوابيت الباقية أضيفت لاحقا في فترات لاحقة.

فقدت جميع التوابيت بلاطاتها وبذلك لم يبقى أثر للموتى أو أي من المرفقات الجنائزية، بحيث فتحت هذه السرايب في فترات قديمة لسهولة نزع بلاطات الأبواب الخارجية، عثر الباحث GAVAULT على جانب من بلاطة أحد أغطية التوابيت عليها طلاء فسيفساء اسود ذو خلفية بيضاء اللون، السقف عبارة عن شكل شبه منحرف وغير منتظم محدد بشريط أحمر وأسود، ومنقسم لجزئين محددين بشريط عريض يحتويان على زخارف ورسومات بالأسود والأزرق المخضر عبارة عن نخيل ودوائر بلون أحمر وأسود، وبعض قطع من فسيفساء¹⁵، تحتوي أيضا

رسم لحيوان بوضعية عدو متجه نحو كتلة زرقاء يمينا ذو أربعة أرجل، يعتبر تمثيلا وقصة رمزية مسيحية غزالة وشلال يمثل التعميد¹⁶ «Quemadmodum cervus ad fontes aquarum». بعد المعاينة الميدانية التي قمنا بها لم نجد اثار باقية لهذه الزخارف والفسيفساء حتى أن الجانب الذي يقع على الواجهة البحرية انهار في البحر وبفعل عوامل تعرية البحر اختفت الرسومات والألوان التي جاءت في وصف غافو.

¹⁵- GAVAULT, M., 1883, pp. 322-323, « Quemadmodum cervus ad fontes aquarum » الروح تتطلع للتعميد
Arcosolium: هي عبارة عن محاريب تصقل على جدران المدافن الجماعية لوضع توابيت الموتى والمراميد.

2-2- السردايب البونية بمدينة تيبازة:



المخطط 03: مخطط المقبرة الشرقية الوثنية. عن: BARADEZ, J., 1957, Pl. XXII.

أ- السرداب رقم 01 (B13 المقبرة الشرقية الوثنية) (المخطط 03، 04) (الصورة 06):

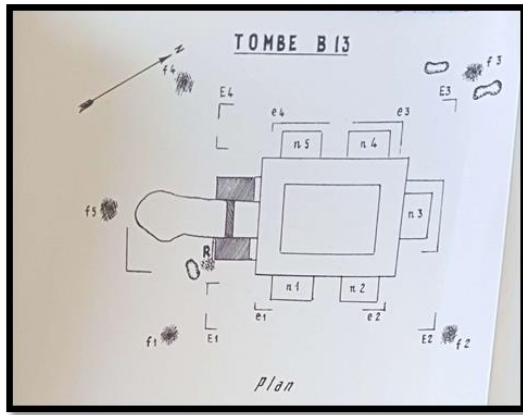
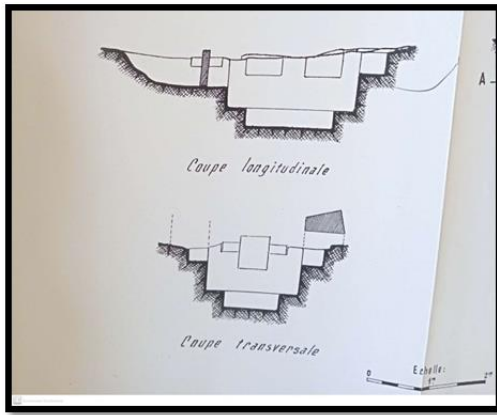
هذا السرداب يعود للفترة البونية المتأخرة، بحيث يعتبر النموذج الانتقالي من الفترة البونية نحو الفترة البونية المتأخرة وهذا راجع لشكله الداخلي وعمقه وطرق الولوج إليه. يعتبر من السردايب الأكثر أهمية خاصة من خلال المرفقات الجنائزية التي تم اكتشافها به، بحيث أرخت بالقرن الأول ميلادي (فترة حكم فيسباسيانوس-دوميتينوس) يقع على بعد 12م من فرن الجير الكبير وعلى بعد 20م من الفرن الجيري الأصغر. حفر هذا السرداب على حجر رملي على حدود الطريق، بحيث نجد آثار جدار من الفترة الرومانية يقسم المقبرة الوثنية الشرقية، بحيث تم العثور عليه تحت مبنى يعود إلى القرن الرابع ميلادي¹⁷.

¹⁷- HEURGON, J., M.E.F.R., 1930, p. 185.



الصورة 06: السرداب أثناء حفريات باراداز. عن:
BARADEZ, J., 1957, Pl. XX.

بنفس تقنية بناء السرايب المجاورة له (تهيئة الصخر وبناء القبر) B15 C12 بمقاسات كبيرة بحيث يحتوي على 5 كوات رباعية الأبعاد وحفرة مركزية يتم الولوج إليها عبر بوابة ورواق والذي أعيد استعماله في قبر مجاور¹⁸ (B56) احتوى هذا القبر على عدد كبير من المرفقات الجنائزية¹⁹ التي يصل عددها إلى 150 والتي أرخت بمنتصف القرن الأول ميلادي.



المخطط 04: يمثل مخطط ومقاطع للقبر B13. عن: GAVAUULT, M., 1883.

ب- السرداب رقم 02 (B15 المقبرة الشرقية الوثنية) (المخطط 03، 05) (الصورة 07):



الصورة 07: مدخل السرداب البوني. عن: الطالبة.

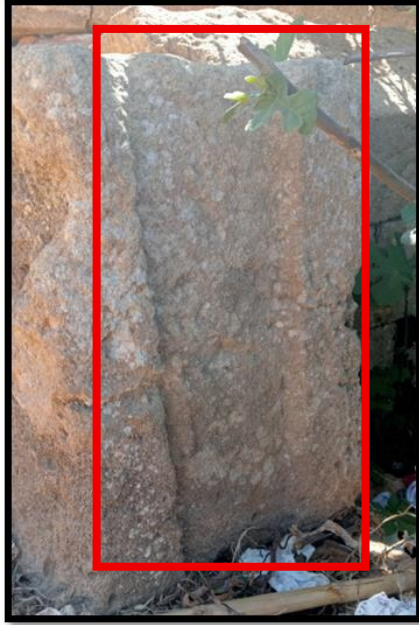
تطرق له غزال بحيث قام بأول حفرة بالمقبرة الشرقية أين كشف عن عدة أنواع قبور بنيت عليها مباني في فترات لاحقة²⁰، حيث يعتبر السرداب الوحيد المكتشف من قبل الباحث غزال، إذ يعتبر من نماذج القبور المبنية والقريبة من سطح الأرض بحيث لا يتم النزول للعمق للوصول إلى غرفة الدفن

¹⁸- BARADEZ, J., 1957, p. 223.

¹⁹- Ibid., pp. 226-255.

²⁰- GSELL, S., 1883, p. 378.

بحيث تسمى بالأضرحة الصغيرة التي أتت مباشرة بعد الفترة البونية²¹.



الصورة 08: تمثل أثر السحاب من خلاله يتم تمرير البلاطة الحجرية. عن: الطالبة.

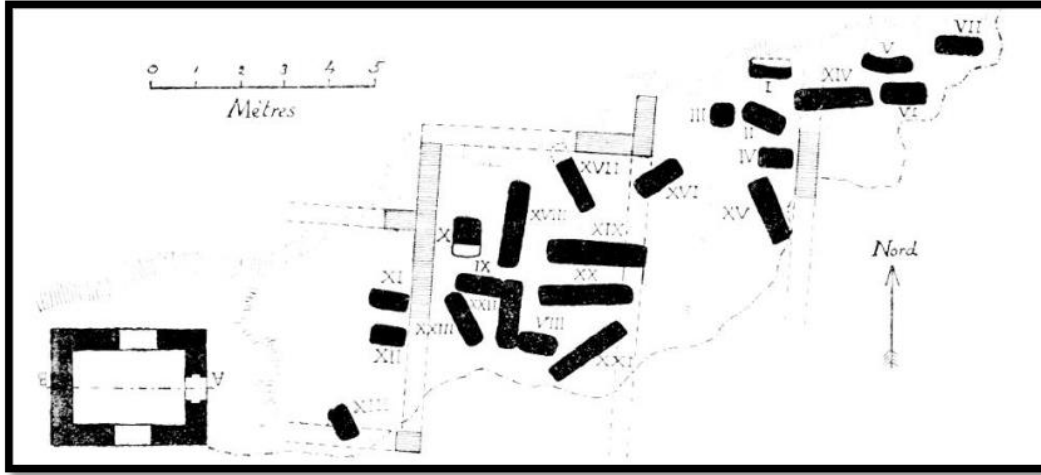
يعتبر هذا السرداب من المدافن المبنية بالحجارة المصقولة، يظهر على **(المخطط 06)** من الجهة اليسرى بشكل مربع حيث قام الباحث غزال بمقطع عرضي له²²، بني هذا السرداب بالحجارة المصقولة مهياً على الصخر، وهذا راجع لطبيعة الأرضية، إذ تظهر آثار قوس مقبب كان يغطيه من الأعلى، حيث انتزع في الفترة اللاحقة من أجل بناء المنزل الذي جاء فوقه، يظهر على البوابة بالجانبين اثر السحاب يتم من خلاله تمرير البلاطة للغلق المحكم للسرداب **(الصورة 08)**، عتبة المدخل يصل علوها 1,20م عن الأرضية الداخلية للسرداب، كما يحتوي هذا الأخير بجدرانه الداخلية يمينا ويسارا على كوات (niche1-niche2) رباعية الزوايا توضع داخلها المراميد التي وصل عددها حسب غزال لـ 11 مرمة من الفخار وبقايا زجاجية لمرمدين، تظهر بالجانبين أعلى الكوتين الرأسيتين، اثنين من الأعلى بشكل مسطح (niche3-niche4)، كانت مسدودة بالكلس ووجدت 10 شقف قنينات فخارية رقيقة السمك.

إضافة لتوضع 12 هيكل عظمي لموتى على أرضية السرداب وجهت بعضها غربا والأخرى شرقا. قام الباحث باراداز بأبحاث سنة 1955م بالسرداب وقام باكتشاف طلاءات عديدة داخل الكوات الرئيسية بالمكان الفاصل بين الحجارة المصقولة والتجوييف والذي عثر به على مجموعة كبيرة من المرفقات الجنائزية²³.

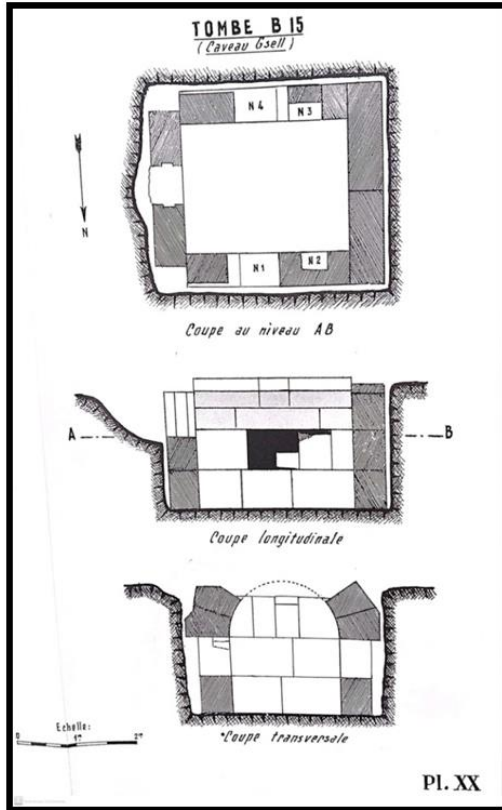
²¹- CINTAS, P., 1948.

²²- GSELL, S., 1883, p. 379.

²³- BARADEZ, J., 1957, pp. 172- 173, Pl. III.

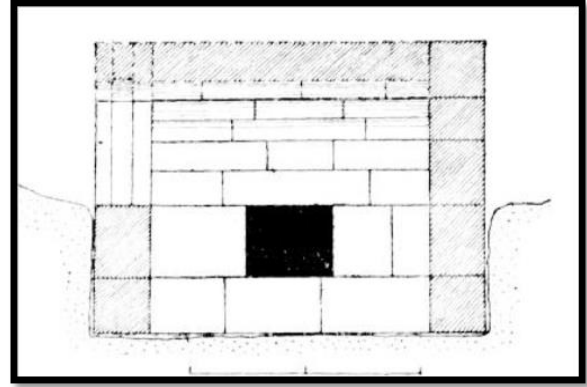


المخطط 05: يبين توزيع مدافن قام باكتشافها الباحث غزال بالمقبرة الشرقية الوثنية . عن: GSELL, S., 1883, p. 378,



المخطط 06: يمثل مخطط ومقطع للسرداب،

عن: BARADEZ, J., 1957, Pl. XXII.



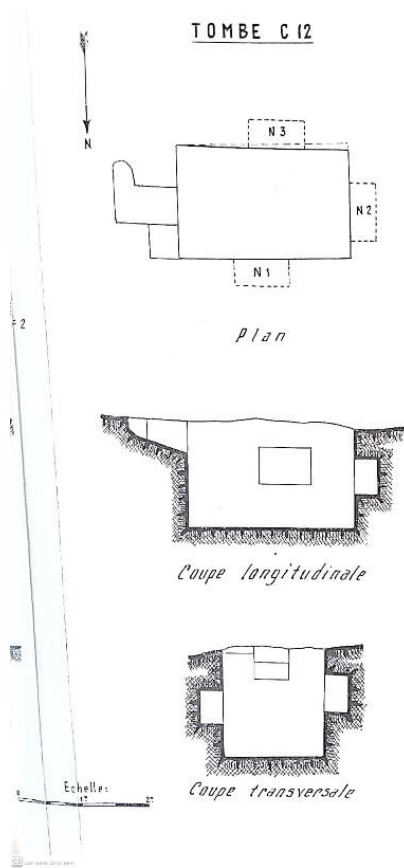
الشكل 01: مقطع عرضي للسرداب المكتشف من قبل غزال بالمقبرة الوثنية. عن: GSELL, S., 1883, p. 379, fig. 36.

ج- السرداب رقم 03 (C12) المقبرة الوثنية

(المخطط 03، 07، 08):

يقع السرداب C12 بالقرب من فرن الجير الكبير على بعد حوالي 5م، موجه نحو الشرق، يحتوي على 3 كوات من الجوانب الثلاثة لجدران الغرفة الجنائزية، كل كوة يتم بها وضع جثة ميت كامل أو أكثر بحث تعرض

هذا السرداب نوعا ما لعوامل تسرب الماء ما عرض البقايا العظمية للتفتت بشكل سريع، بحيث تعرض السرداب لفتح في فترة لاحقة بعض إبعاد ميت في الجانب الجنوبي الشرقي للغرفة بجانب المدخل (الشكل 08).



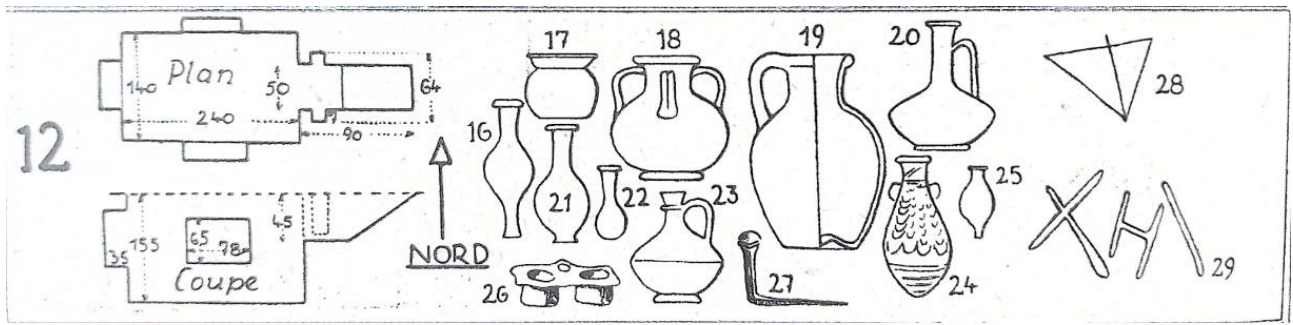
Pl. XXI

المخطط 07: يمثل مخطط ومقاطع القبر

C12، عن: BARADEZ, J., 1957, Pl. XXI.

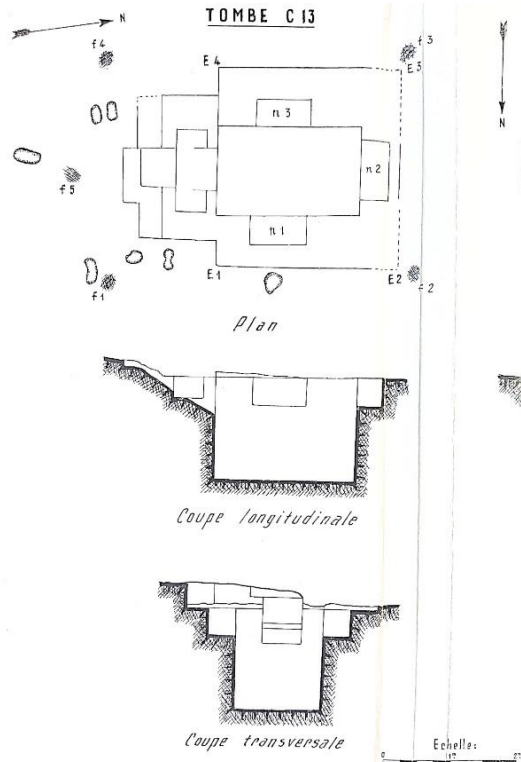
احتوى السرداب على مجموعة من المرفقات (مسامير، وقنينات، ومرايا، وجرار، وأطباق من الفخار) إضافة الى كم كبير من الرماد بالكوات. مما يؤكد على إعادة استعمال المدفن بعد مرور وقت بنفس فترة المقبرة الوثنية، هذا راجع لتشابه الأواني الفخارية التي تم وضعها لاحقا في القبر مع الاواني الجنائزية المعثور عليها في القبور المجاورة²⁴ (الشكل 08).

استمد هذا القبر من شكل سرداب الفترة البونية وأخذ من نموذج مدافن الفترة النوميديّة ولاحقا الرومانية.



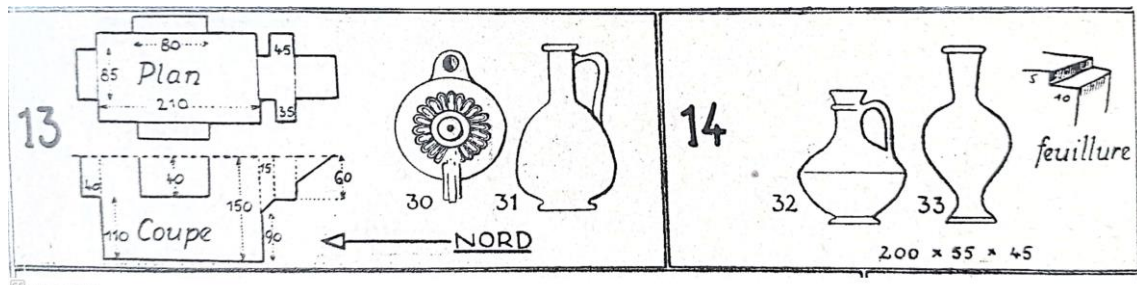
المخطط 08: مقطع للقبر C12 بمرفقاته الجنائزية. عن: CINTAS, P., 1949, p. 60.

²⁴- CINTAS, P., 1949, pp. 27-28.

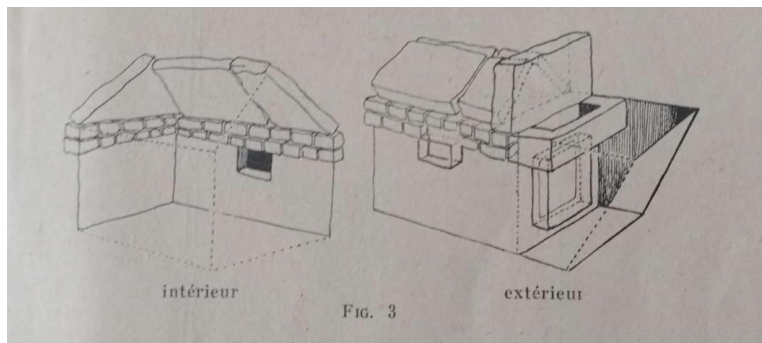


المخطط 09: مقاطع القبر C13.

د- السرداب رقم 04 (C13 المقبرة الوثنية الشرقية)
(المخطط 03، 09، 10): يقع هذا السرداب من
الجهة الغربية للفرن الجيري 1، بحيث هذا النموذج
يقارن بالسرداب الذي تم التنقيب عنه بتونس بشبة من
قبل الباحث سانتاس، بحيث يحمل جميع خصائصه،
إلا أن هذا السرداب لم يحافظ على جزءه العلوي، إذ
قام حرفي من الفترة الرومانية باستعمال البلاطات
الحجرية التي كانت تستعمل لغلق السرداب²⁵، هذا
النوع من السرايب بتيبازة مدخله مائل وبه درج نحتت
الغرفة الجنائزية في الصخر ثم أضيفت حجارة للجدران
لزيادة علوها تم غطي سقف القبر ببلاطات حجرية
وأضيفت دعائم على شكل هرمي لتخفيف الوزن
(الشكل 02)، الجدران الداخلية للغرفة مزودة بـ 3
كوات، يغلق المدخل ببلاطة حجرية تنزلق من الأعلى
نحو الأسفل غالباً²⁶.



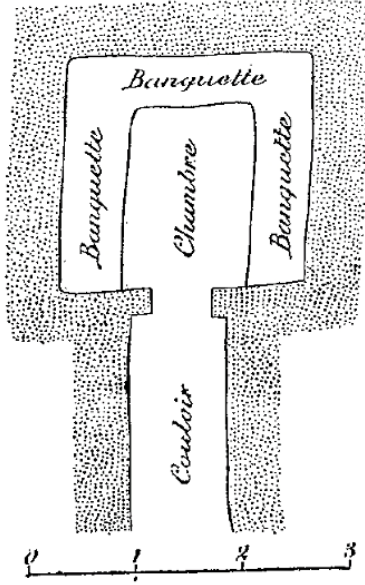
المخطط 10: مقطع للقبر C13 بمرفقاته الجنائزية. عن: CINTAS, P., 1949, p. 60.



الشكل 02: رسم تخطيطي للسرداب الجبي ذو المدخل المائل بدرج. عن:
CINTAS

²⁶- CINTAS, P., 1949, pp. 23-24.

ع- السرداب رقم 05 (C8) المقبرة الوثنية الشرقية) (المخطط 03، 11):



المخطط 11: يمثل مقطع طولي للسرداب C8 . عن: GSELL, 1903, Fig. 22, p. 43.

يقع هذا السرداب غربا، قسم عرضيا بعد بناء جدار من الفترة الرومانية بحيث تم تخريبه كليا، يعتبر هذا السرداب من نماذج السرايب الجبية التي تعود للفترة البونية ما بين القرن الثاني والقرن الثالث قبل الميلاد. تحتوي هذا النوع من السرايب على فضاءين متمثلة في رواق ثم غرفة الدفن يتصلان ببعضهما بمدخل ضيق بحيث تتوسط غرفة الدفن حفرة مركزية ومقاعد على جوانبها banquettes، تعتبر هذه السرايب هي الاقدم عن السابقة²⁷.

هـ- السرداب رقم 06 (البوني المتواجد بالميناء) (المخطط 03):

يستمد السرداب البوني المتواجد حاليا بميناء

بتيبازة (**الصورة 09**) من نماذج المدافن السردابية بقرطاجة وأوتيكّا، ويعود لنهاية القرن الخامس وبداية الرابع قبل الميلاد، بني من صخرة واحدة تم صقلها لتشكيل غرفة جنازية، حيث بقي بالميناء وحده وعلى حاله بعدما استعملت المنطقة كمحجر لبناء المدينة الرومانية، فتم ترك المدفن على حاله احتراما للميت²⁸. يعتبر السرداب من المدافن التي يتم غلقها من الخارج ببلاطات حجرية من الأعلى يمكن أن تصل الى 6 بلاطات حجرية سمكها حوالي 0.60م، يرتفع على علو 5م فوق سطح الماء، طوله يصل الى 3.70م، عرضه 3.30م وارتفاعه 4م أما عمق الغرفة الجنازية فتصل إلى 1.55م²⁹.



الصورة 09: تمثل السرداب البوني بالميناء. عن: صور من الأرشيف.

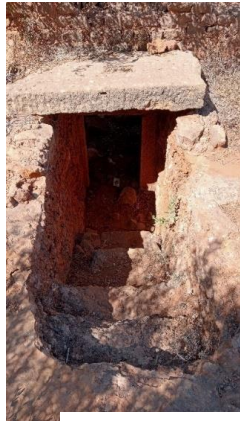
²⁷- CINTAS, P., 1949, pp. 33-34.

²⁸- CINTAS, P., 1949, p. 20.

²⁹- GSELL, S., 1901, p. 92.

و- السرداب رقم 07 (الجهة الشرقية لبازيليكا القديسة صالسا) (المخطط 03):

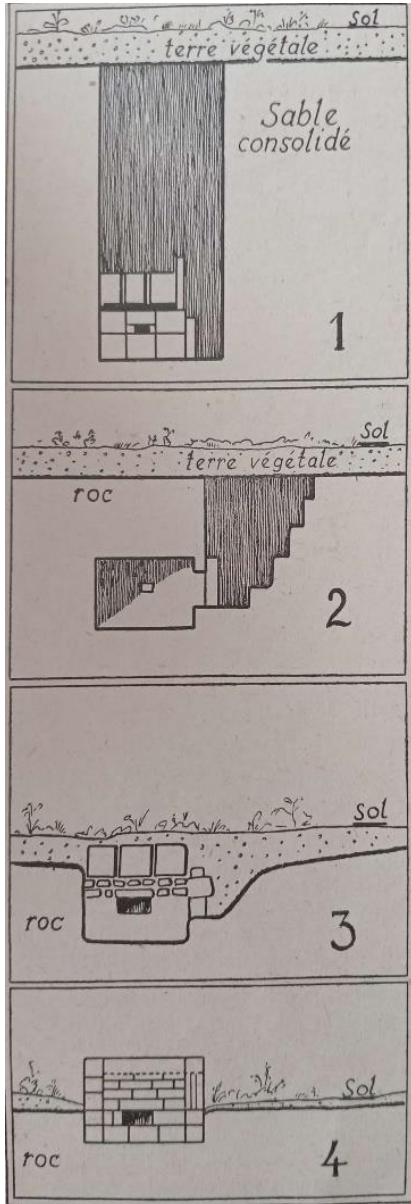
يقع هذا السرداب شرق بازيليك القديسة صالسا (الصورة 10)، بحيث يتم الولوج إليها عبر أدراج ومدخل مغطى ببلاطة حجرية من الأعلى حيث أنّ البوابة لا زالت في حالة حفظ جيدة، الغرفة الجنائزية يتراوح طولها 3م عرض و2م ارتفاعا، حفرت جدرانها بأربع كوات *loculi* كانت توضع بها أجسام الموتى بحيث لبست هذه الكوات بطلاء وغطيت ببلاطات حجرية. جهزت الغرفة الجنائزية من الأسفل بمقاعد حجرية توضع فوقها جثث الموتى أو القربان، يمكن أنّه كان هناك طاولة قرابين (مانسا)، حيث هدم سقف المدفن كليا³⁰.



الصورة 10: تمثّل الصور مختلف واجهات السرداب شرق بازيليك القديسة صالسا. عن: الطالبة.

³⁰- LEVEAU, P., 1977, pp. 209-256.

الخاتمة:



المخطط 12: مقاطع تمثل تطور السرايب خلال الفترات القديمة.

خلال معاينتنا الميدانية للمدافن السردابية بمدينة تيبازة وبعد تتبع نتائج الأبحاث السابقة وتقارير حفريات المدافن بمواقع تيبازة، لاحظنا تحولات وتغييرات طرأت على القبور السردابية من حيث الشكل، والعمق، وأقسام الغرفة الجنائزية، حيث أن هذا البحث تضمن تطور عمارة القبور السردابية بمدينة تيبازة (**المخطط 12**) غير أننا تعمداً في التطرق لحوانيت تيبازة ملاحظة منا التشابه المباشر بين هذين النوعين من المدافن الأول محلي والثاني ذو أصول فينيقية، ولإبراز أوجه التشابه بين هذين المدفنين اللذان حفرّا على الصخر وأقيمت فيهما تهيئات داخلية شملت كوات اختلف غرض استعمالهما عبر الفترات الزمنية، إضافة للمداخل التي هيئت بطريقة يتم تركيب البلاطات الحجرية بها عن طريق تمريرها من الأعلى نحو الأسفل في بعض الحالات.

أظهر مخطط قام به الباحث سانتاس مراحل تطور الغرف الجنائزية للسرايب بتيبازة من الفترة البونية إلى غاية الفترة الرومانية فبعدما كانت الحفرة أكثر عمق ويتم الولوج إليها عبر مدخل جبي محفور بعمق في الأرض أصبحت أقل عمقا ثم نصف ظاهر فوق الأرض حرصاً من المجتمع التيبازي أن يكون المدخل نحو القبور أكثر سهولة، بحيث لاحظنا في المقابر نصف ظاهرة مقاعد (سرداب بازيليك القديسة صالسا) والسرداب B15 (المقبرة الوثنية الشرقية) في مركز الغرفة تأتي تحت الكوات التي توضع بها جثث الموتى بحيث كانت تمارس طقوس جنائزية وتوضع عليها القرابين لممارسة الطقس الجنائزي لذلك وجب تسهيل الولوج إلى المدفن.

الفترة البونية تميزت غرف السرايب بمقاسات كبيرة بحيث كانت تصقل على الصخر تحتوي في بعض الاحيان على كوات (Niches) صغيرة الحجم توضع داخلها أواني صغيرة الحجم كالمصابيح الزيتية والقنينات، عثر على الموتى في وضعية ممددة على الأرضية، الغرف الجنائزية حُفرت بعمق (السرداب 8) حيث يتم الوصول إلى الغرفة الجنائزية عبر سلالمة ورواق، يغلق المدخل ببلاطة حجرية تثبت بإحكام ثم تغطي بالأتربة التي تم نزعها وهذا لأغراض متعددة منها الفصل الكلي بين الأحياء والأموات.

لاحظنا أنّ السراييب الأكثر شيوعا هي مدافن الفترة البونية المتأخرة تصل إلى القرن الأول ميلادي مع بداية فترة الاستيطان الروماني، بحيث تعرضت عمارة القبور السردابية لعدة تأثيرات خارجية تمّ التخلي تدريجيا على عادة الدفن والانتقال الى عادة الترميد، بحيث نلاحظ من خلال القبور السردابية المذكورة سابقا والتي تم التنقيب عنها من طرف غزال ثم لاحقا باراداز وسانتاس تبين من خلال نتائج الحفريات أن هذه القبور كلها تضمنت كوات يتم وضع بها جرار ومراييد إضافة لكوات صغيرة لوضع المرفقات الجنائزية (السرداب B15)، تضاعفت أعداد الكوات بالقبور وزادت أحجامها لاستقبال أكبر عدد من المرامييد، وهذا بعد تطور ممارسة الدفن بمقابر تيبازة من قبل أفراد هذه المقابر دون التخلي عن عادة الدفن حيث يتجلى ذلك من خلال المعطيات المتوفرة حول نوع الدفن بالسراييب المدروسة، فنجد سراييب تتضمن في نفس الوقت على مراييد وفي نفس الغرفة نجد أجسام كاملة متوضعة على أرضية القبور يمكن أن السراييب أعيد استعمالها في فترات لاحقة.

يفسّر هذه الممارسات ومدى تمسك المجتمع التيبازي بالعمارة الجنائزية البونية المحلية حتى في ظلّ الاستيطان الروماني وبرز نوع جديد من المدافن (الأضرحة) مدى استمرار الموروث الثقافي المحلي خاصة في الجانب الجنائزي الذي يعتبر من المقدسات التي لا يتم المساس بها.

قائمة الببليوغرافيا:

1. BARADEZ, J., 1957, « Nouvelles fouilles à Tipasa : Dans une nécropole païenne », in Libyca, V, pp. 159-220.
2. BEN-NCER, A., Etude de la sépulture iberomaurusienne d'ifri baroud, B.M.S.P.T.
3. BOUCHENAKI, M., 1975, Fouilles de la nécropole occidentale de Tipasa (Matarés), Alger.
4. CINTAS, P., 1948, « Fouilles puniques a Tipasa », in Rev. Afr., XCII, pp. 263-330.
5. GAVAILT, St-L., « Tipasa. I. Les hypogées ; II. L'église de l'ouest ; III. Épigraphie », in Revue Africaine, 27, pp. 321-323, 400-404, 479-482.
6. GSELL, S., 1913, Histoire ancienne d'Afrique du nord, I., Paris.
7. GSELL, S., 1920, Histoire ancienne d'Afrique du nord, IV., Paris
8. GSELL, S., 1901, Les monuments antiques de l'Algérie, II, Paris.
9. GSELL, S., 1903, Fouilles de Gouraya (séputures puniques de la cote algérienne), Paris.
10. GSELL, S., 1894, « Tipasa, ville de la Maurétanie Césarienne », in MEFR, 14, pp. 291-450.
11. HACHI, S., 1995, « Résultat des fouilles récentes d'afalou bourmel (Bejaia_Algérie), journée d'étude », in J.-M. Fullola, N. Soler (Eds.), El Mon Mediterrani després del Pleniglacial (18 000-12 000 BP.), Girona, Espagne, pp. 77-92.
12. HEURGON, J., 1930, « Nouvelles recherches à Tipasa, ville de la Maurétanie césarienne », in M.E.F.R., 47, pp. 182-201.
13. LEVEAU, P., 1977, « Les hypogées de la rive gauche de l'oued Nsara et la nécropole orientale de Caesarea (Cherchel) d'après des fouilles et des dessins anciens », in Antiquité Africaine, 11, pp. 209-256.